

تَيْسِيْرُ عِلْمِ التَّوْحِيْدِ

تَأْلِيْفُ

أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَمْرِو بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ الفَضْلِيِّ

غَفَرَ اللهُ له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

تَقْدِيمُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ

مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بنِ حِزَامٍ الفَضْلِيِّ حَفِظَهُ اللهُ

دَارُ الحَدِيْثِ السَّلَفِيَّةِ بِإِب

تَقْدِيمُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بنِ حِزَامٍ الفَضْلِيّ حفظه الله

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الوَاحِدِ الأَحَد، الذي لا إلهَ إلا هو لم يَلَدْ ولم يُوْلَدْ، ولم يَكُنْ له كُفُوًا أَحَد، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على رَسُوْلِهِ ونَبِيِّهِ المُصْطَفَى الأَمْجَد، مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الله المُسَمَّى أَحْمَد، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَن تَبِعَهُم بإِحْسَانٍ واجْتَهَد. أما بعدُ:

فَقَد اطلعتُ على ما كتبهُ الشيخُ الفاضلُ أبو عبدِ الرَّحمنِ عَمْرُو بنُ مُحَمَّد الفَضْلِي حفظهُ الله في هذا الكِتَابِ الذي في "تَيْسِيْرِ عِلْمِ التَّوْحِيْدِ" فَرَأَيْتُهُ قد أَحْسَنَ فيه وأَفَاد، فنَفَعَ الله به، وبعِلْمِهِ، وبكِتَابِهِ إلى يومِ التَّنَاد، والحمدُ للهِ رَبِّ العالمين.

كَتَبَهُ: أبو عَبْدِ الله مُحَمَّدُ بنُ عليِّ بنِ حزام الفَضْلِي البَعْدَانِي.

١٣/ شوال/ ١٤٤٣هـ

مُقَدِّمَة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ، وأَشْهَدُ ألا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ له، وأَشْهَدُ أنَّ محمدا عبدُهُ ورسولُهُ ﷺ أما بعد:

فهذه رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ في بيانِ التَّوْحِيْدِ، وما ينافِيهِ مِن الشِّرْكِ والتَّنْدِيْدِ، ذَكَرْتُ فيها فَوَائِدَ مُتَنَوِّعَةً، وَضَوَابِطَ مُتَعَدِّدَةً، في التَّوْحِيْدِ والشِّرْكِ، وذَكَرْتُ فيها صُوَرًا كَثِيْرَةً في الشِّرْكِ أَكْبَرِهِ وأَصْغَرِهِ، وَجَلِيِّهِ وخَفِيِّهِ، تَكُونُ كالمَدْخَلِ لِدِرَاسَةِ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ، أسألُ اللهَ أن ينفعَ بها الإسلام والمسلمين وأن يَجْعَلَهَا خَالِصَةً لِوَجْهِهِ الكَرِيْم، والحمدُ لله رَبِّ العالمين، وصَلَّى اللهُ على نبينا محمدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

بَابُ أَهَمِّيَّةِ التَّوْحِيْدِ وفَضْلِه

اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ- أنَّ توحيدَ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو أهمُّ المهمات، وأوجبُ الواجبات، من أجله خَلَقَ اللهُ الخلقَ، وأرسلَ الرُّسُلَ، وأنزلَ الكُتُبَ، ومِن أَجْلِهِ أُنْشِئَت الجنةُ والنارُ، فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير.

هو حياةُ القُلُوبِ، وقُرَّةُ العُيُون، ونَعِيْمُ الصُّدُور، وبَهْجَةُ النُّفُوس، هو أَمَانُ الخَائِف، وأُنْسُ المُسْتَوْحِش، بتَحْقِيْقِهِ تُفَرَّجُ الكُرُوبُ، وتَزُولُ الهُمُومُ، وتُكَفَّرُ السِّيِّئَاتُ، وتُحَطُّ الخَطِيْئَاتُ، به الفَلَاحُ والعِزَّةُ، والتَّمْكِيْنُ والنُّصْرَة.

هو أَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُل، ومَدَارُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ عليه، قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقد ذكرَ اللهُ أنَّ كُلَّ رَسُولٍ افتتحَ دعوتَهُ لقومِهِ بقوله: ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

وقد مكثَ النبيُّ ﷺ في مكةَ ثلاثةَ عَشَرَ عَامًا يدعو إلى التَّوْحِيْدِ، ويُحَذِّرُ من الشِّرْك بعد أن أنزلَ اللهُ عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ

فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر:١-٥]، وذلك قبلَ أن تُفرضَ كثيرٌ مِن أحكامِ الشَّريعةِ، ومع هذا كُلِّهِ **أنزلَ اللهُ عليه بعد أن هاجرَ إلى المدينةِ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾** [محمد:١٩]؛ لبيانِ أهميةِ التَّوْحِيْدِ، وعِظَمِ قَدْرِهِ، وأنَّ العبدَ يحتاجُ إلى العِنَايَةِ بالتَّوْحِيْدِ في حياتِهِ كُلِّهَا، ولا يَمَلُّ من تَكرَارِ ذلك، **ومِن أَعْظَمِ شُبَهِ الشيطانِ أن يَصرفَ العبدَ عن تَعَلُّمِ التَّوْحِيْدِ وتعليمِهِ بِحُجَّةِ (التَّوْحِيْدُ فَهِمْنَاه) و(التَّوْحِيْدُ سَهْلٌ وَاضِح)**، ومِثْلُ هذا لا يقولُهُ إلا مَن استولى الشيطانُ عليه، أما مَن رَسَخَ التَّوْحِيْدُ في قَلْبِهِ، فهو يخافُ على نفسِهِ من أن يقعَ فيما ينافي التَّوْحِيْدَ كما خافَ خليلُ الرحمن إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أبو الأنبياء الذي قال الله عنه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠]، وقال: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم:٣٧]، وقال عنه: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات:٨٤]، ومع ذلك يقولُ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، فهو يخافُ على نفسِهِ مِن الشِّرْكِ، وهكذا نبينا ﷺ الذي هو خيرُ خلقِ الله، وخاتمُ الأنبياء، وخليلُ رب العالمين، كان يستعيذُ بالله من الشِّرْك، ويخافُ على نفسه منه والله المستعان.

ولِعِظَمِ شَأْنِ التَّوْحِيدِ وأَهَمِّيَّتِهِ كانَ القُرْآنُ كُلُّهُ في بيانِ التَّوحِيْدِ، وحُقُوقِهِ ومُكَمِّلَاتِهِ، وبيانِ ما يَنْقُضُه أو يُنْقِصُه، وبيانِ جَزَاءِ الموَحِّدِينَ والمشركين، فكُلُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ مُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّوْحِيدِ، شَاهِدَةٌ بِهِ، دَاعِيَةٌ إِلَيْهِ كما بين ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين (٣/ ٤١٧).

ولجَلَالَةِ قَدْرِهِ قَاتَلَ النَّبِيُّ ﷺ المشركين قال الله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩]، وقال النبي ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ» رواه البخاري(٢٥،١٣٩٩،٢٩٤٦) ومسلم (٢٠-٢٢) عن عمر وابن عمر وأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

وقال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٥): وَمَنْ تَدَبَّرَ أَحْوَالَ الْعَالَمِ وَجَدَ كُلَّ صَلَاحٍ فِي الْأَرْضِ فَسَبَبُهُ تَوْحِيدُ اللهِ وَعِبَادَتُهُ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ ﷺ. وَكُلُّ شَرٍّ فِي الْعَالَمِ وَفِتْنَةٍ وَبَلَاءٍ وَقَحْطٍ وَتَسْلِيطِ عَدُوٍّ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَسَبَبُهُ مُخَالَفَةُ الرَّسُولِ ﷺ وَالدَّعْوَةُ إلَى غَيْرِ اللهِ. وَمَنْ تَدَبَّرَ هَذَا حَقَّ التَّدَبُّرِ وَجَدَ هَذَا الْأَمْرَ كَذَلِكَ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ وَفِي غَيْرِهِ عُمُومًا وَخُصُوصًا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاَللهِ.ا.هـ

بَابُ وُجُوبِ التَّوْحِيْد

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ على العِبَاد هو تَوْحِيْدُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي خَلَقَهُمُ اللهُ لِأَجْلِهِ قال الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وأولُّ شَيْءٍ يأمُرُ الرُّسُلُ به أقوامَهُم تَوْحِيْدُ الله قال اللهُ سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقد ذَكَرَ اللهُ أَنَّ كُلَّ رَسُولِ افْتَتَحَ دعوته بقوله: ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

ونَبِيُّنَا ﷺ حياتُهُ كُلُّهَا في الدعوةِ إلى التَّوْحِيْدِ، فلقد كانَ يأمرُ الناسَ في مكةَ بقوله: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا»[1].

واستمرَّ على الدعوةِ إلى التَّوْحِيْدِ إلى أن تَوَفَّاهُ اللهُ، ولما أرسلَ مُعَاذاً إلى

---

(١) (صحيح) رواه أحمد (١٦٠٢٣)(١٦٦٠٣) عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عبادٍ الدِّيلِيِّ، وعن رجل من الصحابة مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ، ورواه ابن خزيمة(١٥٩) وابن حبان(٦٥٦٢) عن طارق المحاربي رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

اليَمَن قال له: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» رواه البخاري(١٤٥٨) ومسلم(١٩) وفي رواية للبخاري(٧٣٧٢): «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى».

واستمرَّ على الدَّعوةِ إلى التَّوْحِيْدِ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ، وسلفُ الأُمَّةِ، ومَن بعدَهُم من علماءِ الشريعةِ إلى اليوم، فأَيُّ دَعْوَةٍ لا تعتني بالتَّوْحِيْدِ، فهي دَعْوَةٌ فاشلةٌ بائرةٌ مُنْحَرِفَةٌ.

بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيْد

التَّوْحِيْدُ فِي اللُّغَةِ: مَصْدَرُ وَحَّدَ يُوَحِّدُ تَوْحِيْدًا. أي: اعْتَقَدَهُ وَاحِدًا.

والتَّوْحِيْدُ شَرْعًا يُطْلَقُ على مَعْنَيَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: عَامٌّ. وهو: إِفْرَادُ اللهِ بِحَقِّهِ.

وحَقُّ اللهِ يشملُ أنواعَ التَّوْحِيْدِ الثلاثةِ:

أولها: تَوْحِيْدُ الرُّبُوْبِيَّةِ. **وثانيها**: تَوْحِيْدُ الأُلُوهِيَّةِ. **وثالثها**: تَوْحِيْدُ الأسماءِ والصفاتِ. ويأتي إن شاءَ اللهُ بيَانُهَا.

ودليلُ هذا المعنى العام قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] حَيْثُ حَذَفَ مُتَعَلَّقَ الأَحَدِيَّةِ لِيُفِيْدَ العُمُوم.

وقولُهُ تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

وإن شِئتَ قُلْتَ: إِفْرَادُ اللهِ بِرُبُوبِيَّتِه وأُلُوهِيَّتِه وأَسْمَائِه وصِفَاتِه.

والآخرُ: معنى خاصٌّ. وهو: إِفْرَادُ اللهِ بالعبادةِ. وهو تَوْحِيْدُ الأُلُوهِيَّةِ والعِبَادَةِ.

وإذا أُطْلِقَ التَّوْحِيْدُ في الأدلةِ، فالمرادُ به المعنى الخاص؛ لأَنَّهُ مدارُ دعوةِ الرُّسُلِ، ومَحَلُّ النزاعِ مع أقوامِهِم، فقولُهُ ﷺ في حديثِ بَعْثِ معاذٍ إلى اليمن: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى»، أي: يُفْرِدُوهُ بالعِبَادَةِ.

وقوله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا»، أي: أَفْرِدُوا اللهَ بالعبادة.

وفي حديثِ معاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال له: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» رواه البخاري (٥٩٦٧) ومسلم (٣٠).

بَابُ أَنْوَاعِ التَّوْحِيْدِ

أنواعُ التَّوْحِيْدِ ثلاثة:

أولها: توحيدُ الربوبية. وهو: إفرادُ اللهِ بأفعَالِه.

وأفعالُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا مُنْتَهَى لها، وليسَ فيها نَقْصٌ بل كُلُّهَا خَيْرٌ وكُلُّهَا لحكمٍ عظيمةٍ، فهو الذي يَخلقُ ويَرزقُ، ويُحيي ويُميتُ، وبيدِهِ النَّفعُ والضُّرُّ، قال الله: ﴿إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج:١٨]، وقال: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٦]، وقال جل وعلا: ﴿قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧]، وقال سبحانه: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢].

وهذا التَّوْحِيْدُ قد أَقَرَّ به المشركونَ في الجُمْلَةِ كما قال الله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [الزمر:٣٨]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١]، وقال: ﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩]، وقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:٦١].

والثاني من أنواع التَّوْحِيْدِ: توحيدُ الأُلُوهِيَّةِ. ويُسَمَّى: توحيدَ العِبَادة.

وهو: إفرادُ الله بالعِبَادَةِ.

وهذا التَّوْحِيْدُ هو الذي مِن أجلِهِ أَرْسَلَ اللهُ الرسلَ، وهو الذي حصلَ فيه النزاعُ بين الرُّسُلِ وأقوامِهِم، فإنَّ جميعَ الرُّسُلِ يقولونَ لأَقْوَامِهِم: ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، أي: أَفْرِدُوا اللهَ بالعِبَادَةِ، ولا تجعلوا شيئًا مِن العبادةِ لغير الله، ولهذا قال كفارُ قريش: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، وقال الله عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا

قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٦]، فعَلِمَ كُفَّارُ قريش أنَّ النبي ﷺ لا يريدُ منهم مجردَ قول كلمة: (لا إله إلا الله) مع عبادةِ غيرِ الله بل يريدُ منهم الإتيانَ بهذه الكلمةِ مع تحقيقها بإفرادِ الله بالعبادة.

فمَن قال: (لا إله إلا الله) ودعا غير الله، أو ذبح لغير الله، أو سجد لغير الله، أو نذر لغير الله، فقد أشرك بالله، ولا تنفعُهُ هذه الكلمة، ويأتي إن شاء الله مزيد بيان لذلك.

والنوعُ الثالثُ مِن أنواعِ التَّوْحِيْدِ: توحيدُ الأسماءِ والصفات.

وهو: إفرادُ اللهِ بالأسماءِ الحُسْنَى والصِّفَاتِ العُلَى.

فنؤمنُ بما أثبتَهُ اللهُ لنفسِهِ أو أثبتَهُ له رسولُهُ ﷺ مِن الأسماءِ والصفاتِ من غيرِ تَحْرِيْفٍ، ولا تَعْطِيْلٍ، ولا تَكْيِيْفٍ، ولا تَمْثِيْلٍ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

ومِن ذلك قولُهُ تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللهُ

الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

ومن صفاتِ الله جل وعلا التي أثبتها لنفسه صفةُ الحياةِ، والقُدْرَةِ، والسمعِ، والبصرِ، والعزةِ، والحِكْمَةِ، واليَدِ، والوَجْهِ، والكَلَامِ قال الله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، وقال: ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت:٢٠]، وقال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وقال الله: ﴿ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٠]، وقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وقال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤].

وقد ضَلَّ في هذا البَابِ طَوَائِفُ مُتَعَدِّدَةٌ فمنهم: من أنكرَ أسماءَ الله وصفاتِه. ومنهم: مَن أنكرَ الصفاتِ وأثبتَ الأسماءَ. ومنهم: مَن أثبتَ الأسماءَ وبعضَ الصفاتِ. ووَفَّقَ اللهُ أهلَ السُّنَّةِ للإيمانِ بجميعِ أسماءِ الله وصفاتِهِ.

وأسماءُ اللهِ وصفاتُهُ تَوْقِيْفِيَّةٌ، أي: مَوْقُوْفَةٌ على الأدلةِ الشرعيةِ، فلا يجوزُ أن نُسَمِّيَ اللهَ أو نَصِفَهُ بما لم يثبت مِن أسمائِهِ وصفاتِهِ، كتسمِيَةِ النَّصَارَى

لهُ أبا، وتسميةِ الفلاسفةِ لهُ العِلَّةَ الفَاعِلَةَ، وتسميةِ بعضِ النَّاسِ له المُخَطِّطَ والعَارِفَ والعَاقِلَ والشَّفِيْقَ والفَتَّانَ أو الفَاتِنَ والماكِرَ وغيرَ ذلك.

وأسماءُ اللهِ وصفاتُهُ غيرُ مَحْصُورَةٍ بعَدَدٍ مُعَيَّنٍ معلومٍ لنا، كما قال النبي ﷺ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ؛ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ »[٢].

وقال ﷺ: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» رواه مسلم(٤٨٦) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

---

(١) (**صحيح**) رواه أحمد(٣٧١٢) وابن حبان(٩٧٢) والحاكم(١٨٧٧) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حديثٌ صحيحٌ، صححه شيخُ الإسلام وابنُ القيم في الجواب الكافي ص(٢٠٨) وغيرِه والألبانيُّ في الصحيحة(١٩٩).

بَابُ شَهَادَةِ أَلا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

معنى (لا إله إلا الله): لا مَعْبُوْدَ بَحَقٍّ إِلَّا اللهُ.

قال اللهُ جل وعلا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]، وقال: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠]، وقال سبحانه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]، وقال عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ٦٤].

أَرْكَانُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ): لها رُكْنَانِ:

أَوَّلُهُمَا: النَّفْيُ فِي قولِهِ: (لَا إِلَهَ) وهو نَفْيٌ للأُلُوهِيَّةِ الحَقَّةِ عن غيرِ الله سبحانه.

والآخرُ: الإِثْبَاتُ في قولِهِ: (إِلَّا اللهُ) وهو إثباتٌ للأُلُوهِيَّةِ الحَقَّةِ لله سبحانه.

ويَدُلُّ على ذلكَ الأدلةُ المتقدمةُ، وقولُهُ تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧].

شُرُوطُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ):

شُرُوطُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) سبعةٌ، وزادَ بعضُهُم ثامنا جمعَهَا الشَّاعِرُ في قولِه:

عِلْمٌ يَقِيْنٌ وإِخْلَاصٌ وصِدْقُكَ مَع مَـحَـبَّةٍ وانْـقِـيَـادٍ والقَـبُـوْلِ لَهَا

وزِيْدَ ثَامِـنُهَا الكُـفْرَانُ مِـنْكَ بِمَـا سِوَى الإِلَهِ مِن الأَنْـدَادِ قَدْ أُلِهَا.

أولها: الْعِلْمُ بِمَعْنَاهَا المُرَادِ مِنْهَا نَفْيًا وَإِثْبَاتًا المُنَافِي لِلْجَهْلِ.

ومن أدلة ذلك: قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾ [محمد:١٩]، وحديث عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ» رواه مسلم(٢٦).

وثانيها: اليقينُ المنافي للشَّكِّ والارْتِيَابِ، بِأَنْ يَكُونَ قَائِلُهَا مُسْتَيْقِنًا بِمَدْلُولِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ يَقِينًا جَازِمًا.

ومن أدلة ذلك: حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» رواه مسلم(٣١).

وثالثها: الإخلاصُ المنافي للشِّرْكِ والرِّيَاءِ، وَهُوَ تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ بِصَالِحِ النِّيَّةِ عَنْ جَمِيعِ شَوَائِبِ الشِّرْك.

وأدلةُ الإخلاصِ كثيرةٌ ومنها قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۞ أَلَا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣]، وحديث عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ» رواه البخاري(٤٢٥) ومسلم(٣٣)

ورابعها: الصِّدْقُ المنافي للكَذِبِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَهَا صِدْقًا مِن قَلْبِهِ يُوَاطِئُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ.

ومن أدلة ذلك: حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا،

قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ» رواه البخاري(١٢٨) ومسلم(٣٢) ولَفْظَةُ: «صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ» انْفَرَدَ بِهَا البخاري.

وخامسها: المَحَبَّةُ المنَافِيَةُ للبُغْضِ، والمرادُ المُحَبَّةُ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَلِمَا اقْتَضَتْهُ وَدَلَّتْ عَلَيْهِ، وَلِأَهْلِهَا الْعَامِلِينَ بِهَا المُلْتَزِمِينَ لِشُرُوطِهَا، وَبُغْضِ مَا نَاقَضَ ذَلِكَ.

ومن أدلة ذلك: قولُهُ تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة:١٦٥].

وسادسها: الِانْقِيَادُ لِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ المُنَافِي لِتَرْكِ ذَلِكَ.

ومن أدلة ذلك: قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾ [الزمر:٥٤]، وقوله: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢].

وسابعها: الْقَبُولُ لِمَا اقْتَضَتْهُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ المنافي للرَّدِّ.

ومن أدلة ذلك: قولُهُ تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

[النساء:٦٥]، وقولُهُ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١]، وقولُهُ سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٩].

وروى مسلم(١٥٣) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

وزاد بعضُهُم ثامنا -كما تقدم- وهو يَرْجِعُ إلى ما قَبْلَه: وهو الكُفْرُ بما يُعْبَدُ مِن دُونِ الله.

بعضُ الأَخْطَاءِ في تَفْسِيْرِ شَهَادَةِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ):

لقد ضَلَّ أقوامٌ كَثِيْرٌ، وفِرَقٌ مُتَعَدِّدَةٌ في تَفْسِيرِ كَلِمَةِ التَّوْحِيْدِ، ومِن ذلك: تَفْسِيْرُهَا بتَوْحِيْدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وهذا حالُ كثيرٍ مِن أهلِ البِدَعِ والكَلَامِ المتقدمين والمتأخرين، **فمنهم مَن يقولُ**: لا خالقَ ولا رازقَ ولا محييَ ولا مميتَ إلا اللهُ. **ومنهم مَن يقولُ**: لا مُسْتَغْنِيَاً عمَّا سِوَاهُ ولا مُفْتَقِرَاً إليه كُلُّ مَن عَدَاهُ إلا اللهُ. **ومنهم مَن يقول**: إخراجُ اليقينِ الفاسِدِ وإدخالُ اليقينِ الصَّادِقِ بأَنَّهُ لا خالقَ ولا رازقَ إلا الله. **ومنهم مَن يقول**: لا قَادِرَ على الاخْتِرَاعِ إلا اللهُ. ونحو ذلك مِن العِبَارَاتِ التي ترجعُ إلى توحيدِ الربوبية الذي أَقَرَّ به المشركون كما تقدم ولم ينفعْهُم لأنَّهُم لم يُفْرِدُوا اللهَ بالعبادة.

ومِن الأخطاء تفسِيْرُهَا: (لا معبودَ إلا اللهُ) أو (لا إلهَ موجودٌ إلا اللهُ).

فإنَّ هذا يَرُدُّهُ الشَّرعُ والوَاقِعُ، فإنَّ اللهَ قد بينَ لنا في كتابِهِ أنَّ المشركين عَبَدُوا غيرَهُ، واتخذوا آلهةً متعددةً، وفي الواقِعِ كذلكَ أنَّ المشركين يعبدون آلهةً متعددةً، فقد عَبَدُوا الملائكةَ والأنبياءَ والأشجارَ والأحجارَ والأصنامَ وغيرَهَا. وقد يرادُ بهذه الألفاظِ أنَّ كُلَّ الآلهةِ التي عُبِدَت فعِبَادَتُها لله على قَولِ الحُلُولِيَّةِ والاتِحَادِيَّةِ مِن غُلَاةِ الصُّوفِيَّةِ وَغَيْرِهِم، وهذا مِن أَقْبَحِ الكُفْر.

والتَّوْحِيْدُ عندَ الجَهْمِيَّةِ نَفْيُ الأسماءِ والصفاتِ، **وعند المُعْتَزِلَةِ** نَفْيُ الصفاتِ وكُلُّ هذا باطِلٌ مَرْدُوْدٌ.

ومِن الأخطاءِ في تَفْسِيْرِهَا تَفْسِيْرُ كَثِيْرٍ مِن أهلِ البِدَعِ والخَوَارِجِ لها: (لَا حَاكِمَ إلا اللهُ) أو (لَا حَاكِمِيَّةَ إلا لله).

ويريدونَ بذلكَ التَّوَصُّلَ إلى تَكْفِيْرِ حُكَّامِ المُسْلِمِيْنَ الذينَ يَحْصُلُ منهم الحُكْمُ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ، بما لا يَسْتَحِقُّ التَّكْفِيْرَ، ويريدونَ إِقَامَةَ الثَّوَرَاتِ والانْقِلَابَاتِ، وغيرَ ذلكَ مما فسادُهُ كبيرٌ، وشَرُّهُ مُسْتَطِيرٌ، ولم يَرَ المسلمونَ منها إلا الوَيْلَات. والحُكمُ بما أنزلَ اللهُ فَرْدٌ مِن أفرادِ العِبَادَةِ، ولا تَنْحَصِرُ العبادةُ بذلك.

وانظر: تفسيرُ كَلِمَةِ التَّوْحِيْدِ للعلامة صالح الفوزان حفظه الله.

بَابُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم

معناها: الاعْتِقَادُ الجَازِمُ بأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ حَقًّا فهو رَسُولٌ فلا يُكَذَّبُ وعَبْدٌ فلا يُعْبَدُ.

وهو خاتمُ الأنبياءِ قال الله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٠]، أَرْسَلَهُ اللهُ إلى النَّاسِ كَافَّةً قال الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨]، وقال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

وإِنْ شِئتَ قُلتَ في معناها: طاعتُهُ فيما أَمَرَ وتَصْدِيْقُهُ فيما أَخْبَرَ واجْتِنَابُ ما عنه نَهَى وزَجَرَ وأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إلا بما شَرَعَهُ اللهُ.

شُرُوْطُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله.

شُرُوطُهَا هي كشُرُوطِ (لَا إلهَ إلا اللهُ) المتقدمَةِ مِن العِلْمِ والصِّدْقِ والإِخْلَاصِ واليَقِيْنِ...إلخ ما تقدم.

قال العلامةُ حافظُ الحَكَمِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مِفْتَاحِ دَارِ السَّلَامِ بتَحْقِيْقِ شَهَادَتَي الإسلام ص(٢٧): ثُمَّ اعلم أَنَّهُ لا يكونُ مَن شهدَ أَلَّا إلهَ إلا اللهُ مؤمنا

حتى يشهدَ أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ مع التزَامِهِ فيها جميعَ الشُّرُوطِ التي قَدَّمْنَاهَا مَعَ أَدِلَّتِهَا مِن الكتابِ والسنةِ التي قَرَنَت بين هاتينِ الشَّهَادَتَيْنِ وبينَ شُرُوطِهَا المذكورةِ مَنْطُوقًا ومَفْهُومًا.ا.هـ

ومَن أَنْكَرَ السُّنَّة، فلم يُحَقِّقْ هذه الشهادةَ العظيمةَ، ولم يُؤمِنْ بالقُرْآنِ الذي فيهِ الأمرُ بطاعةِ الرَّسُول ﷺ في أكثرَ مِن ثلاثينَ مَوضِعًا.

وهكذا مَن أنكرَ الحوضَ، أو الشفاعةَ، أو صفةَ نُزُولِ اللهِ إلى السَّمَاءِ الدنيا، أو غيرَها مِن أُمُورِ العَقِيْدَةِ، أو الأَحْكَامِ بدَعْوَى أَنَّهُ إنَّما جاءَ في السُّنَّةِ، فلم يُحَقِّقْ هذه الشهادة.

ومَن كانت مَحَبَّةُ والديه أو أولادِهِ أو زوجَتِهِ أو مالِهِ أو نفسِهِ أعظمَ من مَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقد ارتكبَ مُحَرَّمًا وكَبِيْرَةً مِن الكبائر قال الله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤]، وروى البخاري(١٥) ومسلم(٤٤) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ

وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، وروى البخاري(٦٦٣٢) عن عَبْد الله بْنِ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، والله، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ».

وإذا أَرَدْتَ أنْ تَعْرِفَ حقيقةَ ذلكَ فانظُرْ عندَ تَعَارُضِ المَحَبَّتَيْنِ أَيُّهُمَا تُقَدِّم؟ هل تُقَدِّمُ مَحَبَّةَ رَسُولِ الله ﷺ أو تُقَدِّمُ ما تَهْوَاهُ نَفْسُكَ أو زَوْجَتُكَ أو وَلَدُكَ ونحو ذلك؟.

بَابُ بَيانِ الشِّرْكِ وخَطَرِه

اعلم -وفقني الله وإياك- أَنَّ الشِّرْك بالله أعظمُ المحرمات، وهو أَظْلَمُ الظُّلْمِ، وسُوْءُ أَدَبٍ مَعَ رَبِّ العَالمينَ، وهَضْمٌ للرُّبُوبيَّةِ، وتَنَقُّصٌ للإِلَهِيَّةِ، ولهذا جعلَ اللهُ الشِّرْكَ ذَنْباً لا يُغْفَرُ، وجعلَ صَاحِبَهُ مِن الخالدينَ في النَّارِ، وحَرَّمَ عليهِ الجَنَّةَ، وأَحْبطَ أَعْمَالَهُ وأَفْسَدَهَا.

قال اللهُ سبحانه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ باللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، وفي صحيح مسلم(٢٩٨٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْك، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»، وروى البخاري(٤٤٧٧) ومسلم(٨٦) عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ

عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ».

ويَجِبُ على كُلِّ مُسْلِمٍ أن يعرفَ الشِّرْكَ ليحذرَهُ ويجتنبَهُ؛ لئلا يقعَ فيه، ولهذا خافَ خليلُ الرحمنِ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن الشِّرْكِ فقال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، وذكرَ أنَّ مِن أسبَابِ خوفِهِ وقوعَ كَثِيْرٍ مِن الناسِ في عِبَادَتِهَا فقال: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦]، وهكذا نبينا ﷺ الذي هو خيرُ خلقِ الله، وخاتمُ الأنبياء، وخليلُ رَبِّ العالمين كان يستعيذُ بالله مِن الشِّرْكِ، ويخافُ على نفسِهِ منه.

والشِّرْكُ شَرْعًا يُطْلَقُ على معنيين:

أَحَدُهُمَا: عَامٌّ. وهو: جَعْلُ شَيْءٍ مِن حَقِّ اللهِ لغَيْرِه.

قال الله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، وقال ﷺ -لما سئل: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟-: «أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، وتقدمَ أنَّ حَقَّ اللهِ يشملُ أنواعَ التَّوْحِيْدِ الثلاثةِ، فهذا المعنى العامُّ يشملُ الشِّرْكَ في الربوبيةِ والألوهيةِ والأسماءِ والصفات.

والآخرُ: خَاصٌّ. وهو: جَعْلُ شَيْءٍ مِن العِبَادَةِ لغَيرِ الله.

وهو يَخْتَصُّ بالشِّرْكِ في الألوهية.

وإذا أُطْلِقَ الشِّرْكُ في الأدلةِ الشَّرْعِيَّةِ فالمرادُ به المعنى الخَاص.

بَابُ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ

اعلم -سَدَّدَكَ اللهُ- أَنَّ الشِّرْكَ يَنقسمُ باعتبارِ قَدْرِهِ إلى قسمين:

أحدهما: شِرْكٌ أَكْبَرُ. وهو: جَعْلُ شَيْءٍ مِن حَقِّ اللهِ لغيرِهِ يَزُوْلُ بِهِ أَصْلُ الإِيْمَان.

وإِنْ شِئتَ قُلتَ: تَسْوِيَةُ غَيرِ اللهِ باللهِ فيما هو مِن خَصَائِصِ الله.

مثالُهُ: الذَّبْحُ لغيرِ الله، والتَّوَكُّلُ على غَيرِ الله، ودعاءُ غيرِ الله.

والآخرُ: شِرْكٌ أَصْغَرُ. وهو: جَعْلُ شَيْءٍ مِن حَقِّ اللهِ لغيرِهِ لَا يَزُوْلُ بِهِ أَصْلُ الإِيْمَان.

وإِنْ شِئتَ قُلتَ: كُلُّ مَا نَهَى عنهُ الشَّرْعُ مما هو ذَرِيْعَةٌ إِلى الشِّرْكِ الأَكْبَرِ وَوَسِيْلَةٌ للوُقُوعِ فيهِ وجاءَ في النُّصُوصِ تَسْمِيَتُهُ شِرْكًا.

مثالُهُ: الحَلِفُ بِغَيْرِ الله، والرِّيَاءُ.

وينقسمُ الشِّرْكُ باعتبارِ ظُهُورِهِ وخَفَائِهِ إلى قسمين:

الأول: شِرْكٌ ظَاهِرٌ جَلِيٌّ.

مثالُهُ: الذَّبْحُ لغيرِ الله، ودعاءُ غيرِ الله، والحَلِفُ بغيرِ الله.

والآخرُ: شِرْكٌ بَاطِنٌ خَفِيٌّ.

مثالُهُ: التَّوَكُّلُ على غيرِ الله، والخوفُ مِن غيرِ الله خَوفَ السِّرِّ، والرِّيَاءُ.

تَنْبِيْهٌ مُهِمٌّ: ظهرَ بما تقدمَ أنَّ الشِّرْكَ الأكبرَ ينقسمُ إلى قسمين: جَلِيٍّ وخَفِيٍّ وأنَّ الشِّرْكَ الأصغرَ ينقسمُ إلى قسمين: جَلِيٍّ وخَفِيٍّ.

تَنْبِيْهٌ آخر: ذهبَ كثيرٌ من علماءِ الدَّعْوَةِ النَّجْدِيَّةِ إلى تقسيمِ الشِّرْكِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ: الأول: الأكبر. والثاني: الأصغر. والثالث: الخفي. وهذا ليس من الاختلاف بين أهل العلم، وإنما هو من تنوع العبارات باعتبارات مختلفة. انظر: مقدمة التمهيد شرح كتاب التَّوْحِيْدِ للعلامة صالح آل الشيخ.

فَائِدَةٌ جَلِيْلَةٌ: الشِّرْكُ الأكبرُ والأصغرُ يقعُ في أنواعِ التَّوْحِيْدِ الثلاثةِ:

الأول: الشِّرْكُ في الربوبية. وهو: جَعْلُ شَيْءٍ مِن أفعالِ الله لغيره.

مثالُ الأكبر: اعتقادُ أنْ غيرَ الله ينفعُ أو يضرُّ أو يخلقُ أو يرزقُ اسْتَقْلَالًا.

مثالُ الأصغر: اعتقادُ مَا لَيْسَ سَبَبًا سَبَبًا، كمَن يعتقدُ في التَّمَائِمِ أنَّهَا سَبَبٌ لِدَفْعِ الضَّرَر.

والثاني: الشِّرْكُ في الألوهية. وهو: جَعْلُ شَيْءٍ مِن العبادةِ لغيرِ الله.

مثالُ الأكبر: السُّجُودُ لغيرِ الله، والذَّبْحُ لغير الله.

ومثالُ الأصغر: الحَلِفُ بغيرِ الله، والرِّيَاءُ.

والثالثُ: الشِّرْكُ في أسماءِ الله وصفاتِهِ.

وهو: جَعْلُ شَيْءٍ مِن أسماءِ الله الحُسْنَى وصفاتِهِ العُلَى لغيرِهِ.

مثالُ الأكبر: تَسْمِيَةُ غيرِ الله بالعَلِيْمِ مَعَ اعتقادِ أنَّ لهُ العِلمَ الكَامِلَ وهكذا في سَائِرِ الأسماءِ والصفاتِ مَن اعْتَقَدَ أنَّ غيرَ الله لَهُ مِثْلُ مَا لله فقد أشركَ شِرْكاً أكبر.

ومثالُ الأصغر: قولُ: مَا شَاءَ اللهُ وشِئْتَ.

بَابُ الشِّرْكِ الأَكْبَر

الشِّرْكُ الأَكْبَرُ تَقَدَّمَ أَنَّهُ يُحْبِطُ الأعمالَ ويُفْسِدُها، ويصيرُ صاحِبُهُ مِن الخالدين في النَّار، وتَحْرُمُ عليه الجَنَّةُ، ولهُ صُوَرٌ كثيرةٌ نَذْكُرُ شيئا منها:

الأولى: دُعَاءُ غيرِ الله. ومِنْهُ: الاستغاثةُ والاستعانةُ والاستعاذةُ بغير الله فيما لا يَقْدِرُ عليه إلا الله.

قال الله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف:٥-٦]، وقال: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

وهو مِن أَعْظَمِ الشِّرْكِ، بل هو أَصْلُ شِرْكِ العَالَمِ، وما أكثرَ صُوَرَهُ المنتشرةَ بين النَّاس، فمنهم مَن إذا نَزَلَت به الشَّدَائِدُ دعا الأولياءَ والصالحين مِن دون الله، ومنهم مَن إذا سَقَطَ دعا غيرَ الله، ومنهم مَن إذا لم يَنْزِل المطرُ دعا غيرَ الله، ومنهم مَن يدعو الجِنَّ فيقول: خُذُوا فلانا واضْرِبُوه واقْتُلُوه.

ومنهم مَن يذكُرُ ضعفَ المسلمين فينادي: يا صلاح الدين.

ومِن ذلك: دُعَاءُ صفاتِ الله. وقد نَقَلَ شيخُ الإسلام في الرَّدِّ على البَكْرِي ص(١١٤)(ط.المنهاج) الإجماعَ على أنَّ ذلكَ كُفْرٌ.

ومنه قولهم: يا رحمةَ الله ارْحَمِيْنِي، ويا قُوَّةَ الله قَوِّيْنِي ونحو ذلك.

والثانيةُ: الذَّبْحُ لغيرِ الله.

قال الله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

ومنه: الذَّبْحُ للأولياءِ والصالحين، والذَّبْحُ للجِنِّ، ومنه: الذَّبْحُ عند وُصُول المرأةِ العَرُوس، والذَّبْحُ عندَ الانْتِقَالِ لِبَيْتٍ جَدِيْدٍ؛ لِدَفْعِ أَذَى الجِنِّ. ومنه: الذَّبْحُ للهَجَرِ على الصَّحِيْحِ مِن أقوالِ أهلِ العلم.

والثالثةُ: مَن جعلَ بينَهُ وبينَ الله وَسَائِطَ وشُفَعَاءَ يدعُوْهُم لِيُقَرِّبُوهُ إلى الله ويَشْفَعُوا له عندَ الله.

قال الله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ الله قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨]، وقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا

مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر:٣]، فالمشركونَ الأَوَائِلَ لم يَكُونُوا يعتقدونَ في مَعْبُودَاتِهِم النَّفْعَ والضُرَّ، والخَلقَ والرَّزْقَ كما تقدم، بل يجعلونَ ذلكَ لله، ويعتقدونَ أنَّ الأولياءَ يشفعونَ لهم عندَ الله، ويُقَرِّبُونَهُم مِن الله، فَرَدَّ اللهُ قولَهُم، بأنَّ فعلَهُم شِركٌ وكُفرٌ، وكَذَّبَهُم في دَعْوَاهُم، فإنَّ الشَّفَاعَةَ ملكٌ لله، ولا تكونُ إلا بعد إِذْنِهِ ورِضَاه.

والرَّابِعَةُ: التَّنْجِيْمُ والسِّحْرُ والكِهَانَةُ.

والمرادُ بالتَّنْجِيْم: تَنْجِيْمُ التَّأْثِيرِ باعْتِقَادِ أنَّ حَرَكَةَ النُّجُومِ تُؤَثِّرُ بنفسها في الحَوَادِثِ الأَرْضِيَّةِ.

ومِثْلُهُ: اعْتِقَادُ أنَّ حَرَكَةَ النُّجُومِ تُرْشِدُ إلى معرفةِ الغَيْبِ.

والسَّاحِرُ والكَاهِنُ وقَارِئُ الكَفِّ والفِنْجَانِ والعَرَّافُ وغيرُهُم مِمَّن يَدَّعِي علمَ الغَيْبِ مُشْرِكٌ شِركاً أكبر.

قال الله: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥]، وقال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]، وقال الله عن خَيْرِ الخَلْقِ نبينا ﷺ: ﴿قُلْ لا

أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨]، وقد بينَ اللهُ كُفْرَ السَّاحِرِ في قولِهِ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾، وقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢-١٠٣].

وأَمَرَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقَتْلِ كُلِّ سَاحِرٍ وسَاحِرَةٍ. أخرجَهُ أبو داود(٣٠٤٣) بإسناد صحيح.

والخَامِسَةُ: التَّوَكُّلُ على غيرِ اللهِ باعتمادِ القَلْبِ على غيرِ اللهِ في جَلْبِ المنافعِ ودَفْعِ المضَارِّ كَمَن يَتَوَكَّلُ على الأولياءِ والصَّالحين.

قال الله: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣].

والسَّادِسَةُ: الخَوْفُ مِن غيرِ اللهِ المُسَمَّى خَوْفَ السِّرِّ.

فيعتقدُ أنَّ الأولياءَ يستطيعونَ أَنْ يُصِيبُوا العبدَ بِضَرَرٍ إن لم يُعَظِّمْهُم ويَصْرِفْ لهم العبادات، ويقولون: فُلَانٌ صَاحِبُ سِر. ولهذا تَجِدُ كثيرا مِن

عُبَّادِ القُبُورِ يَحْلِفُ بالله كَاذِبًا ولا يبالي، ولا يُمْكِنُ أنْ يَحْلِفَ بالوَلِي كَاذِبًا، تَعْظِيمًا للوَلِي وخَوْفًا منه، مَعَ أَنَّ الحَلِفَ بغيرِ الله شِرْكٌ كما سيأتي.

قال الله: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

والسَّابِعَةُ: اعْتِقَادُ حِلِّ الحَرَامِ أو تَحْرِيْمِ الحَلَالِ طَاعَةً للعُلَمَاءِ أو الأُمَرَاءِ ومِثْلُهُ الذي يُبَدِّلُ الشَّرِيْعَةَ بِتَحْلِيْلِ الحَرَامِ وتَحرِيْمِ الحَلَالِ ويَنْسِبُهُ إلى الشَّرْعِ.

قال الله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]، وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سمع النبي ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [التوبة:٣١] الآيةَ. قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ؟ فَقَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟»، فَقُلْتُ: بَلَى ، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ». رواه الترمذي(٣٠٩٥) وقد حَسَّنَهُ شيخُ الإسلام في كتاب الإيمان ص(٥٨) والألبانيُّ في الصحيحة(٣٢٩٣).

وقال الله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١] **قال الزجاج في معاني القرآن**: هذه الآية فيها دليلٌ أنَّ كُلَّ مَنْ أحَلَّ شيئًا مما حَرَّمَ اللهُ عليه

أو حَرَّمَ شيئًا مما أَحَلَّ اللهُ له فهو مُشرِكٌ.ا.هـ

والثَّامِنَةُ: التَّحَاكُمُ إلى غَيْرِ الشَّرْعِ مع انْطِوَاءِ قَلْبِ العَبْدِ على الرِّضَا بذلكَ والمَحَبَّةِ له والقَبُول.

قال الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

والتَّاسِعَةُ: اعْتِقَادُ جوازِ الحُكْمِ بغيرِ مَا أنزلَ اللهُ، ولو قال: إنَّ حُكْمَ الله أَفْضَلُ.

قال الله: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ﴾ [يوسف:٤٠]، وقال: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، وقال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

والعَاشِرَةُ: التَّعْبِيْدُ لغيرِ الله مع إِرَادَةِ المعنى، وهو اعتقادُ العُبُودِيَّةِ والتَّأْلِيْه.

كَمَن يُسَمِّي وَلَدَهُ: عَبْدَ النَّبِي. ويُرِيْدُ حَقِيْقَةَ العُبُودِيَّةِ التي تكونُ لله.

قال الله: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف:١٩٠].

بَابُ الشِّرْك الأَصْغَرِ

الشِّرْكُ الأَصْغَرُ مِن الذُّنُوبِ العَظِيْمَةِ، وهو في الجُمْلَةِ أَكْبَرُ مِن الكَبَائِرِ، والشِّرْكُ الأَصْغَرُ مِن أهلِ العِلْمِ مَن قال: إِنَّهُ لا يغفرُهُ اللهُ إلا بالتَّوْبِةِ، ولا يكونُ تَحْتَ المشيئةِ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]، وهو بَحْرٌ لا سَاحِلَ له، ولا يَسْلَمُ منه إلا مَن سَلَّمَهُ الله.

قال ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في مدارجِ السَّالكين(١/ ٣٣٥): وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِصْرَارَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ يُوجِبُ مِنْ خَوْفِ الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ الله، وَرَجَائِهِ لِغَيْرِ الله، وَحُبِّهِ لِغَيْرِ الله، وَذُلِّهِ لِغَيْرِ الله، وَتَوَكُّلِهِ عَلَى غَيْرِ الله مَا يَصِيرُ بِهِ مُنْغَمِسًا فِي بِحَارِ الشِّرْك، وَالْحَاكِمُ فِي هَذَا مَا يَعْلَمُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ، إِنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ، فَإِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَا بُدَّ أَنْ يَقُومَ بِالْقَلْبِ فَيُورِثَهُ خَوْفًا مِنْ غَيْرِ الله، وَذَلِكَ شِرْكٌ، وَيُورِثُهُ مَحَبَّةً لِغَيْرِ الله، وَاسْتِعَانَةً بِغَيْرِهِ فِي الْأَسْبَابِ الَّتِي تُوصِلُهُ إِلَى غَرَضِهِ، فَيَكُونُ عَمَلُهُ لَا بالله وَلَا لله، وَهَذَا حَقِيقَةُ الشِّرْك.ا.هـ

تنبيهٌ مُهِمٌّ: كُلُّ صُوَرِ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ قَدْ يَقْتَرِنُ بها ما يَجْعَلُهَا مِن الشِّرْكِ الأَكْبَرِ، أو قَدْ تَكُونُ في بَعْضِ الصُّوَرِ شِرْكًا أَكْبَرَ.

وصُوَرُ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ كثيرةٌ مُتَعَدِّدَةٌ نَذْكُرُ شيئا منها:

الأُوْلَى: تَعْلِيْقُ التَّمَائِمِ والحُرُوزِ على اعْتِقَادِ كَوْنِهَا سَبَبًا لِدَفْعِ العَيْنِ والأَذَى.

وأنواعُهَا كثيرةٌ مِن أَوْرَاقٍ، وقِطَعِ قُمَاشٍ، أو وَدَعٍ، أو العَيْنِ الزَّرْقَاءِ، أو جِلْدِ الذِّئَابِ، أو النِّعَالِ، ولها صور كثيرة متنوعة عند الناس.

ومِن المحَرَّمِ والبِدَعِ عند عَامَّةِ العُلَمَاءِ -ولَيْسَ بِشِرْكٍ- تَعْلِيْقُ التَّمَائِمِ القُرْآنِيَّة -ومِثْلُهَا الأَذْكَارُ- لِدَفْعِ العَيْنِ.

وقد روى أحمد(١٧٤٢٢) عن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ: رسول الله ﷺ قال: «مَنْ تعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ» وإسنادُهُ حَسَنٌ، وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي، وصححه الألباني في الصحيحة(٤٩٢).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ» رواه أحمد(٣٦١٥) وأبو داود(٣٨٨٣) وهو حديث صحيح، وقد صححه الألباني في الصحيحة(٣٣١)، وحسنه الوادعي في الصحيح المسند.

والثانية: التَّبَرُّكُ بِسَبَبٍ لم يَجْعَلْهُ اللهُ سَبَبًا للبَرَكَةِ.

كالتَّبَرُّكِ بالأشجارِ والأحجارِ، والتَّبَرُّكِ بِكِسْوَةِ الكَعْبَةِ، وبأَتْرِبَةِ القُبُور، وله صُوَرٌ أخرى كثيرةٌ عندَ النَّاسِ.

وفي حديثِ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، ولِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، ويَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لموسى: ﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨]، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» رواه الترمذي(٢١٨٠) وإسنادُهُ صحيح، وقد صححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

والثالثة: الطِّيَرَةُ وهي التَّشَاؤُمُ بمَرْئِيٍ أو مَسْمُوْعٍ أو مَعْلُوْمٍ.

كالتَّشَاؤُمِ برُؤْيَةِ الغُرَابِ، أو رُؤْيَةِ شَيْءٍ مَكْرُوهٍ، أو سَمَاعِ كَلِمَةٍ قَبِيْحَةٍ، أو سَمَاعِ بعضِ المصائبِ، أو التَّشَاؤُمِ بيومٍ أو شَهْرٍ ونحوِ ذلك.

عن عبدِ الله بنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «الطِّيَرَةُ شِرْك،

الطِّيَرَةُ شِرْكٌ» رواه أبو داود(٣٩١٥) والترمذي(١٦١٤) وإسناده صحيح، وقد صححه الألباني والوادعي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

قال ابنُ مَسْعُوْدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَقِبَ الحديثِ: «وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ» أي: ما مِنَّا إلا يَقَعُ في قَلْبِهِ شيءٌ مِن ذلكَ، ولكن يُذْهِبُهُ اللهُ بالتَّوَكُّل.

والرابعة: الرِّيَاءُ.

وهو إِظْهَارُ العَبْدِ عَمَلَهُ لِيَرَاهُ النَّاسُ ويَحْمَدُوْهُ عليه، ولا يَسْلَمُ منه إلا مَن سَلَّمَهُ الله.

قال أميرُ المؤمنين في الحديث سُفيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: ما جَاهَدْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِن نِيَّتِي.

وروى أحمدُ(٢٣٦٣٠) وغيرُهُ عَن مَحْمُودِ بنِ لَبِيْدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ» فسُئِلَ عنه فقَالَ: «الرِّيَاءُ» إسناده حسن، وقد صححه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في الصحيحة(٩٥١).

وروى الحاكم(٧٩٣٧) عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «كُنَّا نَعُدُّ عَلَى

عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّ الرِّيَاءَ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ» وإسنادُهُ حَسَنٌ.

والخامسة: إِرَادَةُ الدُّنْيَا بالأعمالِ الصَّالِحَةِ.

وهو يَشْمَلُ الرِّيَاءَ، وإِرَادَةَ المالِ، والجَاهِ، والمَنَاصِبِ، والوَظَائِفِ وغيرها، ويَشْمَلُ مَن يَعْمَلُ الأعمالَ الصَّالِحَةَ لله، وهِمَّتُهُ فيها ثَوَابُ الدُّنْيَا فقط، وليسَ له هِمَّةٌ في الآخرة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وعَبْدُ الخَمِيصَةِ، وعَبْدُ القَطِيفَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ» أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

والسادسة: سَبُّ الدَّهْرِ على اعْتِقَادِ السَّبَبِيَّةِ.

وهذا كَثِيْرٌ في أبياتِ الشُّعَرَاءِ، وفي أَحْوَالِ النَّاسِ، يَسُبُّ الدَّهْرَ ويَلْعَنُهُ ويَذُمُّهُ على المصائِبِ الَّتِي حصلت له، ويعتقدُ أَنَّهُ سَبَبٌ لذلك، فإنْ لم يعتقدْهُ سَبَبَاً، فهو مُحَرَّمٌ وليسَ بِشِرْكٍ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قَالَ: قَالَ اللهُ تعالى: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ،

يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ». وفي رواية: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ» أخرجه البخاري(٤٨٢٦) ومسلم(٢٢٤٦) والرواية لمسلم.

والسابعة: نِسْبَةُ النِّعَمِ إلى غيرِ الله مع اعْتِقَادِ أَنَّهَا مِن الله.

ولها صُورَتَانِ:

الأولى: نِسْبَةُ النِّعْمَةِ إلى مَا لَيْسَ سَبَبًا لها. **والأُخْرَى:** نِسْبَةُ النِّعْمَةِ إلى الأسبَابِ مع الغفْلَةِ عَن الْمُنْعِم.

ولهذا صُوَرٌ كثيرةٌ عندَ النَّاسِ، منها: قولُ الرَّجُلِ: هذا مَالِي وَرِثْتُهُ عن آبَائِي، وهذا دَارِي بَنَيْتُهُ بأَمْوَالِي، وهذا المالُ رَبِحْتُهُ بِذَكَائِي وخِبْرَتِي، وهذا العِلْمُ حَصَّلْتُهُ باجْتِهَادِي، وكَثْرَةِ مُطَالَعَتِي، وقُوَّةِ حِفْظِي وفَهْمِي. يقولُ ذلكَ مع الغَفْلَةِ عَن الْمُنْعِم وهو اللهُ سبحانه.

ومثلُهُ يُسأَلُ: كَيْفَ وَصَلْتَ مِن السَّفَرِ سَرِيْعًا؟ فيقولُ: كَانَتِ الرِّيْحُ طَيِّبَةً، والمَلَّاحُ حَاذِقًا، أو كانت السَّيَّارَةُ جَدِيْدَةً، والسَّائِقُ مَاهِرًا.

ومثلُهُ: لو لا الكَلْبُ في الدَّارِ لأَتَانَا اللُّصُوصُ.

ونَظِيْرُ ذلكَ نِسْبَةُ النِّعْمَةِ إلى ما ليسَ سببًا لها، ومنه قولُ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كذا وكذا.

والثامنة: الحلف بغير الله.

وله صُوَرٌ كثيرةٌ منها: الحَلِفُ بالنَّبِيِّ ﷺ، والحَلِفُ بالأَوْلِيَاءِ، والحَلِفُ بالكَعْبَةِ، والحَلِفُ برَأْسِ الأَوْلَادِ، والحَلِفُ بالأَمَانَةِ، والحَلِفُ بالذِّمَّةِ.

روى أحمد(٦٠٧٢) وأبو داود(٣٢٥١) والترمذي(١٥٣٥) عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أو أَشْرَكَ» وهو حديثٌ صحيحٌ بشواهده، وقد صححه الحاكم وشيخ الإسلام وابن القيم والألباني وغيرهم.

والتاسعة: اعْتِقَادُ مَا لَيْسَ بِسَبَبٍ سَبَبًا.

وهذا لهُ صُوَرٌ كثيرةٌ منها مَا تَقَدَّمَ ومِن ذلكَ: تَعْلِيْقُ التَّمَائِمِ على اعتقادِ أَنَّهَا سَبَبٌ لِدَفْعِ العَيْنِ، وسَبُّ الدَّهْرِ على اعتقادِ أَنَّهُ سَبَبٌ للشَّرِّ، وقولُ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كذا وكذا. ومنها: الطِّيَرَةُ. ومنها: نِسْبَةُ النِّعْمَةِ إلى مَا ليسَ سَبَبَاً لها.

ومنها: تَعْلِيْقُ الخَيْطِ مِن الحُمَّى، وتعليق الأَسْوِرَةِ المِغْنَاطِيْسِيَّةِ لِدَفْعِ المَرَض.

ومنها: اعتقادُ أنَّ المِلْحَ أو الثَّوْمَ أو الرَّيْحَانَ أو جِلْدَ الذِّئْبِ يَطْرُدُ الجِنَّ.

والعاشرة: شِرْكُ الأَلْفَاظِ بالعَطْفِ بالواو التي تَقْتَضِي التَّسْوِيَةَ بينَ الله وبين غيرِه.

عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ للنبي ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي لله نِدًّا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ» رواه النسائي في الكبرى(١٠٥٧٩) وإسنادُهُ حَسَنٌ، وهو صحيحٌ بشواهده، وقد صححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة(١٣٩).

وعن قُتَيْلَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ يَهُودِيًّا، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَن يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ. رواه النسائي(٣٧٧٣) وإسنادُهُ صحيحٌ، وقد صححه الألباني والوادعي رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

ولها صُوَرٌ كثيرةٌ منها: قولُ: (ما شَاءَ اللهُ وشِئْتَ) و(لولا اللهُ وأَنْتَ)و(أنا عندَ الله وعِنْدَك) و(تَوَكَّلْتُ على الله وعليك) و(ما لي إلا اللهُ وأَنْتَ) و(أعوذُ بالله وبِكَ) **ومنها**: قَوْلُ النَّاسِ تَعَجُّبًا: (سُبْحَانَ الله والمَطَر) (سُبْحَانَ الله والبَيْت)، وبَعْضُهُم يقولُ: (اللهُ والبَيْت) (اللهُ والسَّيَّارَة) (اللهُ والجَمَال) (ما شاءَ اللهُ والبيت).

بَابٌ في الكُفْرِ والظُّلْمِ والفِسْقِ والنِّفَاق

اعْلَمْ-عَافَاكَ اللهُ- أنَّ (الكُفْرَ والفِسْقَ والظُّلْمَ والنِّفَاقَ) مِن الأَلْفَاظِ الشَّرْعِيَّةِ التي تَنْقَسِمُ إلى قِسْمَين: أكبر وأصغر. **وبَيَانُهَا:**

الأَوَّلُ: الكُفْرُ.

وهو نَوعَانِ: الأَوَّلُ: كُفْرٌ أَكْبَرُ. وهو كُلُّ مَا يُخْرِجُ من المِلَّةِ، ويَصِيْرُ صَاحِبُهُ من الخَالِدِينَ في النَّار.

مثاله: قولُهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤]، وقولُهُ: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [العنكبوت:٤٧].

والثَّانِي: كُفْرٌ أَصْغَرُ. وهو ما لا يُخْرِجُ مِن المِلَّةِ.

مثاله: قولُهُ ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» رواه البخاري(٤٨) ومسلم(٦٤) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقولُهُ ﷺ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ» رواه مسلم(٦٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والمعاصي كُلُّهَا تُعْتَبَرُ مِن كُفْرِ نِعْمَةِ اللهِ سبحانه، وذلكَ مِن الكُفْرِ الأَصْغَرِ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين(١/٣٤٦): وَالْقَصْدُ أَنَّ الْمَعَاصِيَ كُلَّهَا مِنْ نَوْعِ الْكُفْرِ الْأَصْغَرِ، فَإِنَّهَا ضِدُّ الشُّكْرِ، الَّذِي هُوَ الْعَمَلُ بِالطَّاعَةِ.ا.هـ قال الله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧].

والثاني: الظُّلْمُ.

وهو نَوعَانِ: الأَوَّلُ: ظُلْمٌ أَكْبَرُ. وهو الذي يُخْرِجُ مِن المِلَّةِ.

مثاله: قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٩]، وقولُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

والآخر: ظُلْمٌ أَصْغَرُ. وهو الذي لا يُخْرِجُ مِن المِلَّةِ.

مثاله: حديثُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: «قُلِ اللهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا –أو قال: كَثِيرًا– وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» رواه البخاري(٨٣٤) ومسلم(٢٧٠٥). ومنه

قول النبي ﷺ في دعاء الاستفتاح: «اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا» رواه مسلم(٧٧١) عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وسَائِرُ الذُّنُوبِ تُعْتَبَرُ مِن ظُلْمِ العَبْدِ لِنَفْسِه.

والثالث: الفِسْقُ.

وهو نَوعَانِ: الأَوَّلُ: فِسْقٌ أَكْبَرُ. وهو ما يُخْرِجُ مِن المِلَّةِ.

مثاله: قولُهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ [البقرة:٩٩].

والآخر: فِسْقٌ أَصْغَرُ. وهو ما لا يُخْرِجُ مِن المِلَّةِ.

مثاله: حديثُ ابن مسعود المتقدم، وكقوله تعالى: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ [الحجرات:١١].

والرابع: النِّفَاقُ.

وهو نَوعَانِ: الأَوَّلُ: نِفَاقٌ أَكْبَرُ اعْتِقَادِيٌّ. وهو إِظْهَارُ الإِسْلَامِ وإِبْطَانُ الكُفْرِ. وذلك كنِفَاقِ المنافقينَ الذين قال اللهُ عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي

الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

والثاني: نِفَاقٌ أَصْغَرُ عَمَلِيٌّ. وهو الوُقُوعُ في بعضِ خِصَالِ النِّفَاقِ.

مثاله: حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» رواه البخاري (٦٠٩٥) ومسلم(٥٩).

بَابُ بَعْضِ المَنْهِيَّاتِ الَّتِي تُنَافِي تَحْقِيْقَ التَّوْحِيْد

اعلم -رَعَاكَ اللهُ وأَلْهَمَكَ رُشْدَك- أنَّ تحقيقَ التَّوْحِيْدِ يكونُ بِرُسُوْخِهِ وثُبُوتِهِ، بِسَلَامَةِ العبدِ مِن نجاساتِ القَلبِ، وهي: الشِّرْكُ والبِدْعَةُ والمعصيةُ. وعلى قَدْرِ بُعْدِ العبدِ عن هذه النجاساتِ وسلامَتِهِ منها يكونُ مُحَقِّقَاً للتَّوْحِيْدِ، وبقَدْرِ وُقُوعِهِ فيها يحصلُ الإخلالُ بالتَّوْحِيْدِ، فمنها ما يَنْقُضُ توحيدَهُ، ومنها ما يُنْقِصُهُ.

ومنها: مخالفاتٌ متعددةٌ يتساهلُ فيها كثيرٌ مِن الناس، وهي تُنَافي تحقيقَ التَّوْحِيْدِ أَذْكُرُ شيئا منها:

الأولى: الغُلُوُّ في الصَّالحين.

وهذا من أَوْسَعِ أوديةِ الباطلِ والضَّلَالِ، وهو أَصْلُ وُقُوعِ الشِّرْكِ والبدعِ، وعبادةِ الأولياءِ والصالحينَ، فأَوَّلُ شِرْكٍ حَدَثَ في الأَرْضِ سَبَبُهُ الغُلُوُّ في الصَّالِحِيْنَ، وهو مِن أسبَابِ وُقُوعِ الفُرْقَةِ والاخْتِلَافِ بين المسلمين إلى غيرِ ذلكَ مِن المفاسد العظيمة.

واللهُ يقولُ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء:١٧١]، وروى أحمد(١٨٥١) والنسائي(٣٠٥٧) وابن ماجه(٣٠٢٩) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ» إسنادُهُ صحيحٌ، وقد صححهُ النوويُّ في المجموع، وشيخُ

الإسلام في عددٍ مِن كتبه، والألبانيُّ في الصحيحة(١٢٨٣).

ويأتي -إن شاء الله- بيانُ حِرْصِ النبي ﷺ على حِمَايَةِ جَنَابِ التَّوْحِيْدِ مِن الغُلُوِّ في الصالحين.

والثانية: الإلحادُ في أسماءِ الله وصفاتِهِ.

وهو الميلُ بها عما يجبُ فيها بتحريفٍ، أو تعطيلٍ، أو تكييفٍ، أو تمثيلٍ، أو إنكارٍ، أو تفويضٍ لمعانيها، أو تسميةِ الله ووصفِهِ بما لم يَثْبُتْ، أو اشتقاقِ أسماءٍ منها للآلهة، كاللَّاتِ والعُزَّى ومَنَاة أَخْذًا مِن الإله والعزيز والمنَّان.

وهذا الإلحادُ تارةً يكونُ كُفْرًا أكبرَ، وتارةً يكونُ دونَ ذلك.

قال الله: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

والثالثة: إنكارُ قَدَرِ الله، والتَّسَخُّطُ والجَزَعُ على أقدارِ الله، والاحتجاجُ بالقَدَرِ على معصيةِ الله، وقولُ: (لو) في الاعتراضِ على القَدَرِ أو الشَّرْعِ أو على جِهَةِ التَّسَخُّطِ والجَزَعِ.

وكُلُّ هذا مِن المحرماتِ العظيمةِ المنتشرةِ بينَ الناسِ، والله جل وعلا يقول: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، وروى أبو داود (٤٧٠٠)

عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي» وهو حديث صحيح بشواهده، وقد صححه الألباني والوادعي في الجامع الصحيح في القدر.

وعن ابنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وشَقَّ الْجُيُوبَ، ودَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ» رواه البخاري(١٢٩٧) ومسلم(١٠٣).

ويقولُ اللهُ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤]، وقال: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران:١٦٨].

وقالَ اللهُ مُبَيِّنَاً أنَّ الاحْتِجَاجَ بالقَدَرِ على المعاصي باطلٌ وأنَّهُ حُجَّةُ المبطلين: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ

عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام:١٤٨]، وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل:٣٥].

وكيفَ يَحْتَجُّ العاصي بالقَدَرِ، وهو لا يعلمُ ما قُدِّرَ لَهُ، وإنما أَقْدَمَ على المعصيةِ باختياره؟!

ولماذا لا يتركُ الطعامَ والشرابَ، ويقولُ: قَدَّرَ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أموتَ جُوْعَاً وعَطَشَاً؟!

ولماذا يختارُ لنفسِهِ السَّفَرَ في الطريقِ الطَّيِّبَةِ، ولا يُسافِرُ في الطريقِ الشَّاقَّةِ، ويقولُ: قَدَّرَ اللهُ عَلَيَّ؟!

وهل يَرْضَى لنفسِهِ أن يَرْمِيَهُ اللهُ في نَارِ جَهَنَّمَ، ويقولُ: قَدَّرَ اللهُ عَلَيَّ؟!

فلا مُعَارَضَةَ بينَ الشَّرعِ والقَدَرِ، فنحنُ مأمورونَ بامتثالِ الشرعِ والإيمانِ بالقَدَرِ.

والرابعة: الأَمْنُ مِن مَكْرِ اللهِ، والقُنُوطُ مِن رَحْمَةِ اللهِ.

وهذه مِن الكبائرِ العظيمةِ التي تنافي تحقيقَ الخوفِ والرجاءِ والتوكلِ على الله سبحانه قال الله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ

الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩]، وقال: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر:٥٦].

والخامسة: الاسْتِهْزَاءُ بالدِّيْنِ.

وهذا من الموبقاتِ المهلكاتِ، وهو كثيرٌ في الناس، ولا يُعْذَرُ المستهزئُ بالدِّينِ، ولو أرادَ المزحَ واللهو واللعبَ قال الله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

وكانَ سَبَبُ نُزُوْلِهَا قولَ بعضِهِم في غزوةِ تَبُوك: ما رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هؤلاءِ أَرْغَبُ بُطُونَاً، ولا أَكْذَبُ أَلْسُنَاً، ولا أَجْبَنُ عندَ اللِّقَاءِ. يَعْنُونَ رسولَ الله ﷺ وأصحابَهُ القُرَّاء.

فمَن استهزأَ بِشَيْءٍ مِن الدينِ، كاللِّحْيَةِ، أو السِّوَاكِ، أو تقصيرِ الثِّيَابِ فوقَ الكَعْبَيْن، أو الحِجَابِ الشرعي للمرأة، أو غيرِ ذلكَ مِن أُمُورِ الشريعةِ، فهو على خطرٍ عظيمٍ، ومِثْلُ ذلك مَن استهزأَ بالصالحين لما يَحْمِلُونَهُ مِن الدين.

والسادسة: سُوْءُ الظَّنِّ بالله.

قال الله: ﴿يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

وظَنُّ الجَاهِلِيَّةِ هو ظَنُّ ما لا يَلِيْقُ بالله كما ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الزاد.

وهذا بَابٌ واسعٌ لا يَكَادُ ينجو منه إلا مَن نَجَّاهُ اللهُ قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في زاد المعاد(٣/ ٢١١): فَأَكْثَرُ الْخَلْقِ بَلْ كُلُّهُمْ إلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ يَظُنُّونَ باللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ السَّوْءِ، فَإِنَّ غَالِبَ بَنِي آدَمَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَبْخُوسُ الْحَقِّ نَاقِصُ الْحَظِّ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ فَوْقَ مَا أَعْطَاهُ اللهُ وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: ظَلَمَنِي رَبِّي وَمَنَعَنِي مَا أَسْتَحِقُّهُ، وَنَفْسُهُ تَشْهَدُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَهُوَ بِلِسَانِهِ يُنْكِرُهُ، وَلَا يَتَجَاسَرُ عَلَى التَّصْرِيحِ بِهِ، وَمَنْ فَتَّشَ نَفْسَهُ وَتَغَلْغَلَ فِي مَعْرِفَةِ دَفَائِنِهَا وَطَوَايَاهَا رَأَى ذَلِكَ فِيهَا كَامِنًا كُمُونَ النَّارِ فِي الزِّنَادِ، فَاقْدَحْ زِنَادَ مَنْ شِئْتَ يُنْبِئْكَ شَرَارُهُ عَمَّا فِي زِنَادِهِ، وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَهُ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَتُّبًا عَلَى الْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ وَاقْتِرَاحًا عَلَيْهِ خِلَافَ مَا جَرَى بِهِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنْ ذَلِكَ.

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عظيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا الْمَوْضِعِ، وَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَلِيَسْتَغْفِرْهُ كُلَّ وَقْتٍ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَلْيَظُنَّ السَّوءَ بِنَفْسِهِ الَّتِي هِيَ مَأْوَى كُلِّ سُوءٍ، وَمَنْبَعُ كُلِّ شَرٍّ الْمُرَكَّبَةِ عَلَى الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ، فَهِيَ أَوْلَى بِظَنِّ السَّوءِ مِنْ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ وَأَعْدَلِ الْعَادِلِينَ وَأَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ، الْغَنِيِّ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ الْغِنَى التَّامُّ وَالْحَمْدُ التَّامُّ وَالْحِكْمَةُ التَّامَّةُ، الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ سَوْءٍ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَسْمَائِهِ، فَذَاتُهُ لَهَا الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَصِفَاتُهُ كَذَلِكَ، وَأَفْعَالُهُ كَذَلِكَ، كُلُّهَا حِكْمَةٌ وَمَصْلَحَةٌ وَرَحْمَةٌ وَعَدْلٌ، وَأَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا حُسْنَى.ا.هـ

والسابعة: حَلُّ السِّحْرِ بالسِّحْرِ.

وهو مِن المحرماتِ التي تَساهَلَ فيها كثيرٌ مِن الناس، ولا يجوزُ الذَّهَابُ إلى السَّحَرَةِ لِحَلِّ السِّحْرِ عندَ عَامَّةِ العُلَمَاءِ بل قالَ شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (١٩/ ٦١): وَفِي الِاسْتِشْفَاءِ بِمَا شَرَعَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ مَا يُغْنِي عَنْ الشِّرْك وَأَهْلِهِ. وَالْمُسْلِمُونَ وَإِنْ تَنَازَعُوا فِي جَوَازِ التَّدَاوِي بِالْمُحَرَّمَاتِ كَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ فَلَا يَتَنَازَعُونَ فِي أَنَّ الْكُفْرَ وَالشِّرْك لَا يَجُوزُ التَّدَاوِي بِهِ بِحَالٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مُحَرَّمٌ فِي كُلِّ حَالٍ.ا.هـ

وعندنا -ولله الحمد- القرآنُ كلامُ الله، وهو أَعْظَمُ شِفَاءٍ، فمَن قرأَهُ بيقين شفاه الله وعافاه، ومِثْلُ ذلكَ الرُّقْيَةُ بالدَّعَواتِ المشروعةِ والأَعْشَابِ وغيرِهَا مما أَحَلَّهُ الله، وقد سُئِلَ النبيُّ ﷺ عن النُّشْرَةِ -وهي حَلُّ السِّحْرِ بالسِّحْرِ عندَ الإطلاق- فنَهَى عنها فقد روى أحمد(١٤١٣٥) وأبو داود(٣٨٦٨) بإسنادٍ صحيحٍ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، أن رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» وقد صححه الألباني رَحِمَهُاللَّهُ، وما أُضِيْفَ إلى الشيطان مِن قَوْلٍ أو فِعْلٍ فهو محرم.

والثامنة: زَعْمُ العَبْدِ اسْتِحْقَاقَهُ للنِّعَمِ التي أعطاهُ الله.

قال الله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ [فصلت:٥٠]، وقال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص:٧٨].

سَوَاءٌ أَزَعَمَ ذلكَ مِن جِهَةِ الابْتِدَاءِ أَنَّهُ عَمِلَ لها فيقولُ: هذا بِعَمَلِي، وبِجُهْدِي، وبعِلْمٍ مِنِّي بوُجُوهِ المَكَاسِبِ، وبذَكَائِي.

أو زَعَمَ ذلكَ مِن جِهَةِ الانْتِهَاءِ أَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لها فيقولُ: على عِلْمٍ مِن الله أَنِّي أَهْلٌ لِذَلِكَ، وأُوْتِيْتُهُ لِشَرَفِ مَكَانَتِي، وعُلُو مَنْزِلَتِي. وكُلُّهُ محرم.

والتاسعة: إتيانُ الكُهَّانِ والسَّحَرَةِ والمُشَعْوِذِيْنَ ونَحْوِهِم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ فِيمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ» رواه الحاكم(١٥) بإسناد صحيح.

وروى أحمد(١٦٦٣٨) عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا» وهو عند مسلم(٢٢٣٠) بدون لفظ: «فصدقه».

فتصديقُ الكُهَّانِ بِعِلْمِ الغَيْبِ كُفْرٌ أَكْبَرُ، وأما تصديقُهُم لِشُبْهَةِ أنَّ ذلكَ مما أَلْقَاهُ الشيطانُ عليهم مِن استراقِ السَّمْعِ، فهذا كُفْرٌ أَصْغَرُ على الصحيحِ مِن أقوالِ أهلِ العِلْمِ؛ لِوُجُودِ الشُّبْهَةِ، ولِعَدَمِ قَبُولِ صَلَاتِهِ أربعينَ يومًا، ولا يقالُ مِثْلُ هذا في حَقِّ الكافرِ كُفْرًا أَكْبَرَ والله أعلم.

ومِثْلُ هذا القِرَاءَةُ في الأَبْرَاجِ التي تُنْشَرُ في المواقعِ والصُّحُفِ وغيرِهَا، فمَن وُلِدَ في بُرْجِ كذا فهو سعيدٌ، ومَن وُلِدَ في بُرْجِ كذا فهو تَعِيْسٌ ونحو ذلك.

ومِثْلُ هذا مَا يُسَمُّونَهُ اليوم بالشَّيْخِ الرَّوْحَانِيِّ والشَّيْخَةِ الرَّوْحَانِيَّةِ، وهُم سَحَرَةٌ ومُشَعْوِذُونَ، فلا يجوزُ التَّوَاصُلُ معهم وسُؤَالُهُم وتَصْدِيْقُهُم.

والعاشرة: التَّسَمِّي بما لا يَلِيْقُ بالعَبْدِ وإنَّما يَلِيْقُ بالله سبحانه.

وذلكَ نحو: مَلِكِ المُلُوكِ وحَاكِمِ الحُكَّامِ وقَاضِي القُضَاة.

وقد روى البخاري(٦٢٠٥) ومسلم(٢١٤٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ».

بَابُ حِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ التَّوْحِيدْ

اعلم -وَفَّقَكَ اللهُ- أنَّ النبيَّ ﷺ لعَظِيْمِ حِرْصِهِ على هذهِ الأُمَّةِ حَذَّرَهُم مِن كُلِّ ما يَمَسُّ جَنَابَ التَّوْحِيْدِ، فَسَدَّ ذَرَائِعَ الشِّرْكِ وأَبْوَابَهُ، وهكذا يَجِبُ على كُلِّ مُسْلِمٍ أن يُحَافِظَ على تَوْحِيْدِهِ مِن كُلِّ ما يُنَافِيْه.

ولِحِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيْدِ صُوَرٌ كثيرةٌ أَذْكُرُ شيئا منها:

الأولى: نَهْيُهُ ﷺ عَن الغُلُوِّ عُمُومًا، وعَن المُبَالَغَةِ في مَدْحِهِ وإِطْرَائِهِ خُصُوصًا.

روى البخاري في صحيحه(٣٤٤٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، يَقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ».

وروى أبو داود(٤٨٠٦) عن عبد الله بن الشخير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» إسنادُهُ صحيحٌ، وقد صححه الألباني والوادعي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

وقولُهُ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ» أي: ما اعْتَدْتُمُوهُ في مُخَاطَبَاتِكُم وكانت العَرَبُ لا تُبَالِغُ في خِطَابِ كُبَرَائِهَا.

وقولُهُ: «وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» أي: لا يَغْلِبَنَّكُم فيتَّخِذُكُم جَرْيَاً لَهُ. أي: رَسُولَا ووَكِيْلَا عنهُ في فَتْحِ بَابِ الشَّرِّ على الناس.

وروى النسائي في الكبرى(١٠٠٠٧) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ الله ﷺ: يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَيَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، إِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيهَا اللهُ تَعَالَى، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» إسنادُهُ صحيحٌ، وقد صححه الألباني في الصحيحة (١٠٩٧) والوادعي في الصحيح المسند رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

والثانية: نَهْيُهُ ﷺ عن الذَّبْحِ لله في مَكَانٍ كانَ عِيْدَاً للجاهِلِيَّةِ أو كانَ يَذْبَحُ فيه أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ لأَوْثَانِهِم حِمَايَةً للتَّوْحِيْد.

روى أبو داود في سننه(٣٣١٣) عن ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ

أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ» وإسنادُهُ صحيحٌ على شَرْطِ البخاري ومسلم، وقد صححهُ شيخُ الإسلام في الاقْتِضَاء، والألبانيُّ والوادعيُّ وغيرهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ جميعا.

والثالثة: نَهْيُهُ ﷺ عن اتِّخَاذِ قَبْرِهِ عِيْدَا.

روى أبو داود في سننه(٢٠٤٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ» إسنادُهُ حسنٌ، وهو صحيحٌ بشواهِدِهِ، وقد حسنهُ شيخُ الإسلام في الإخنائية ص(١٠٤) [ت. زهوي] وابنُ القيم في إغاثة اللهفان (١/٣٤٦)[ط.عالم الفوائد] وصححه الألبانيُّ وغيره.

فقولُهُ: «لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا» نَهَى ﷺ عن زِيَارَةِ قَبْرِهِ على وجهٍ مَخْصُوصٍ، واجتماعٍ مَعْهُودٍ، فيَصِيْرُ عِيْدًا؛ لأنَّ اتخاذَهُ عِيْدًا للصَّلَاةِ والدُّعَاءِ وغيرِ ذلكَ مِن وَسَائِلِ الشِّرْك.

والرابعة: نَهْيُهُ ﷺ عن اتِّخَاذِ القُبُورِ مَسَاجِدَ لعِبَادَةِ الله سبحانه، فكيفَ بِعِبَادَةِ صَاحِبِ القَبْرِ؟!.

وقد نَهَى ﷺ عن ذلكَ مِرَارًا وتَكْرَارًا، وكَرَّرَ ذلكَ قَبْلَ وَفَاتِهِ لِعِظَمِ شَأْنِهِ وأَهَمِّيَّتِهِ، فقد روى مسلم في صحيحه(٥٣٢) عن جُنْدَبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ».

وروى البخاري(٤٣٥) ومسلم(٥٣١) عن عَائِشَةَ، وَعَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَا: لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ الله ﷺ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ الله عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مِثْلَ مَا صَنَعُوا.

وذلك؛ لأنَّ اتخاذَ القُبُورِ مَسَاجِدَ لعِبَادَةِ الله مِن وَسَائِلِ الشِّرْكِ وذَرَائِعِه، ومِن البِدَعِ والمُحْدَثَات.

والحمدُ لله رَبِّ العالمينَ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وكان الانتهاء منه يوم الثلاثاء التاسع من شوال لعام ثلاثة وأربعين وأربعمائة وألف.

فهرس المحتويات

تَقْدِيْمُ فَضِيْلَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بن حِزَامٍ الفَضْلِيّ حفظه الله ٢
بَابُ أَهَمِّيَّةِ التَّوْحِيْدِ وفَضْلِهِ ٤
بَابُ وُجُوبِ التَّوْحِيْد ٧
بَابُ تَفْسِيْرِ التَّوْحِيْد.. ٩
بَابُ أَنْوَاعِ التَّوْحِيْد..١١
بَابُ شَهَادَةِ أَلا إِلَهَ إِلَّا اللهُ..١٦
بَابُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُوْلُ اللهِ..٢٢
بَابُ بَيَانِ الشِّرْكِ وخَطَرِهِ ٢٥
بَابُ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ..٢٧
بَابُ الشِّرْكِ الأَكْبَرَ ٣٠
بَابُ الشِّرْك الأَصْغَرِ..٣٦
بَابٌ فِي الكُفْرِ والظُّلْمِ والفِسْقِ والنِّفَاق..٤٤
بَابُ بَعْضِ المَنْهِيَّاتِ الَّتِي تُنَافِي تَحْقِيْقَ التَّوْحِيْد..٤٨
بَابُ حِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ التَّوْحِيْد..٥٨
فهرس المحتويات..٦٢